

قبائل بكر بن عبد مناة إلى نهاية الفترة النبوية

~~~~~ د. محمد الجوادي \*

مقدمة: تنتمي قبائل بكر بن عبد مناة إلى بدو كنانة الذين كانوا يقطنون قبل الإسلام في عدد من المناطق المنتشرة من الجنوب الغربي لمكة إلى مشارف المدينة. وما يميّز غط عيش القبائل البدوية عموماً هو قيامه على الرعي والتّرحال، وعلى الإغارة على القبائل الأخرى إمّا للاستئثار بنقاط المياه عندما تنحبس الأمطار ويعمّ شظف العيش، أو للسّطو على ممتلكات القبائل المجاورة والضعيفة منها على وجه الخصوص، وهي تلك التي لا تربطها أحلاف مع مجموعات قبلية قوية تُحقّق لها أمنها. لكنّ هذا الطابع البدوي لم يكن يشمل بدو كنانة بأسرهم، إذ أنّ بعض فروع بكر بن عبد مناة قد استقرّت في مكة وكان ذلك سابقاً لاستقرار قريش بها. كذلك انضمّ بنو الحارث بن عبد مناة زمن عبد المطلب بن هاشم إلى حلف الأحابيش الذي أقامته قريش بهدف الدّفاع المشترك وحماية أمن مكة والحرم.

على صعيد آخر، مثّل امتداد مجال قبائل كنانة العامل الرئيس في اتّصالها المبكّر بالدعوة النبوية. وما نلاحظه من خلال نموذج بكر بن عبد مناة هو إسلام عدد من أفرادها منذ الفترة المكية. لكنّ مشاركة هذه القبيلة في أحداث الفترة المدنية لم تكن متماثلة، فلئن بادرت بعض فروعها على غرار غفار وضمرة بإبرام معاهدات موادعة مع الرّسول منذ السّنة الثّانية للهجرة، ثمّ بالانخراط تدريجيّاً في المغازي انطلاقاً من خيبر سنة 7هـ/628م، فإنّ بعضها الآخر قد واصل غط عيشه القديم وصراعاته القبلية متغاضياً عمّا يشهده الحجاز من حراك ديني وسياسي وذلك إلى فترة قريبة من فتح مكة.

### I- بكر بن عبد مناة: فروعها وأهم مواطنها

1- فروعها: تنتمي بكر إلى قبائل بدو كنانة المضريّة، وهي بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر، ومن هذا الوجه يلتقي نسبها بقريش التي كانت تُسمّى قبل

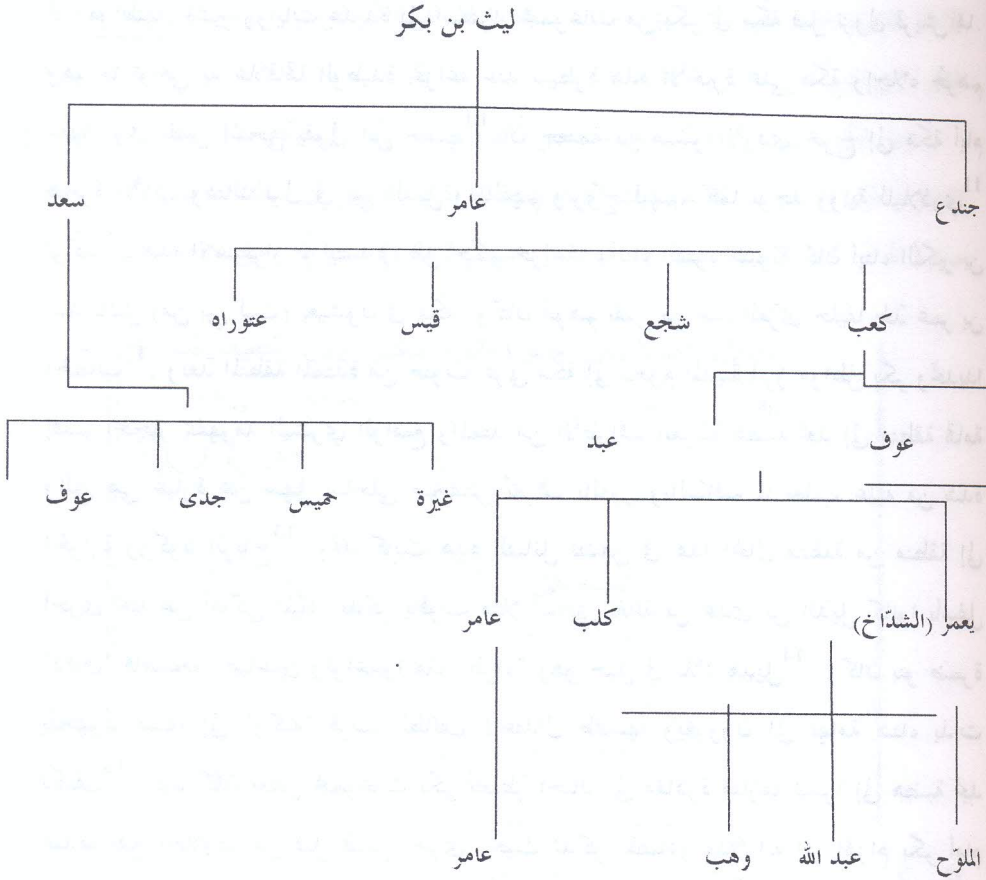
\* أستاذ مساعد بالمعهد التحضيري للدراسات الأدبية والعلوم الإنسانية - تونس.

استقرارها في مكة بنو النضر بن كنانة<sup>1</sup>. لذلك يُعتبر تحول التسمية من بني النضر إلى قريش انعكاساً لتمييز أفرادها عن البدو بعد هذا الاستقرار في الفضاء المكّي. ولقبيلة بكر قبيلتان أختان هما بنو عامر وبنو مرة<sup>2</sup>. ويُعرف مجموع هذه القبائل ببني علي، إذ تذكر الأخبار أن علياً بن مسعود بن مازن بن ذئب الغساني أبا عبد مناة بن كنانة لأمّه، كفل بني عبد مناة بعد موته، فنُسبوا إليه<sup>3</sup>.

ويشير اسم قبائل هذه المجموعة عموماً - بكر وعامر ومرة - إشكالية هامة تتمثل في كونها أول من ارتبط اسمها بـ "مناة" التي تعتبر أقدم آلهة عبدتها القبائل المضربة، وهو ما يؤكد تسلسلها الجنيالوجي واقتراب جدّها - عبد مناة - من مضر حيث لا يفصله عنه سوى أربعة آباء هم كنانة بن خزيمه بن مدركة بن إلياس. لذلك تُشير التسمية إلى أن الوثنية العربية قد انتشرت لدى قبائل عدنان في فترة يصعب تحديدها، لكنها تبقى سابقة لعمر بن لُحي الذي يُنسب إليه أنه أول من أدخل الأصنام إلى بلاد العرب<sup>4</sup>، والذي يتزامن بروزه مع بداية استقرار خزاعة في مكة خلال القرن الثالث للميلاد على الأرجح. لكن رغم ذلك لا يمكن الجزم بوثنية بني عبد مناة المبكرة اعتماداً على دلالة التسمية فحسب، ذلك أن هذه التسمية يُمكن أن تكون في آخر المطاف متأخرة من وضع النسابة العرب لاسيما وأن أسماء الآباء تفقد قيمتها التاريخية كلما اقتربنا من الجدّ المؤسس.

وتتكوّن قبائل بكر من أربعة فروع كبرى مستقلّة بعضها عن بعض حيث لم يكن يتمّ التحالف بينها إلا في حالات طارئة كما حدث في وقعة ذات نكيف ضدّ قريش<sup>5</sup>. وهذه الفروع هي: ليث، والدليل، وضمرة، والعريج.

بنو ليث<sup>6</sup>: يُعتبر هذا الفرع أكبر بطون بكر مكانة وحجماً، ويتفرّع إلى ثلاثة أقسام كبرى هي: بنو عامر، وبنو جندع، وبنو سعد. ويتميّز بنو عامر بمكانة متميّزة من الناحية العددية، وقد انبثقت عنهم كلّ من كعب، وشجع، وقيس، وعتوراه. وينبثق عن بني كعب بن عامر بنو يعمر بن عوف بن كعب بمختلف فروعهم (بنو الملوّح، وبنو عبد الله، وبنو وهب)، بالإضافة إلى كلب بن عوف، وبني عامر بن عامر بن عوف. أمّا بنو سعد فقد تولّدت عنهم أربعة فروع هي غيرة، وهيس، وجدى، وعوف.



بنو الدليل<sup>7</sup>: تضمّ ثلاثة فروع هي: عدي، والحارث، وصبيغ. وينتمي إلى هذا الفرع بنو نفاعة بن عدي بن الدليل الذين ينحدر منهم بنو الأسود بن رزن بيت بني الدليل، أي سادة القبيلة وأشرافها.

بنو ضمرة<sup>8</sup>: تضمّ بدورها عدّة فروع تتمثّل في كعب، وجدي، وعوف ومليل. ويبقى بنو غفار بن مليل أهم قبائل هذه المجموعة، لكن رغم انحدارها من ضمرة فقد كانت مستقلة عنها في حياتها كما يبيّنه تاريخ القبيلة منذ فترة ما قبل الإسلام.

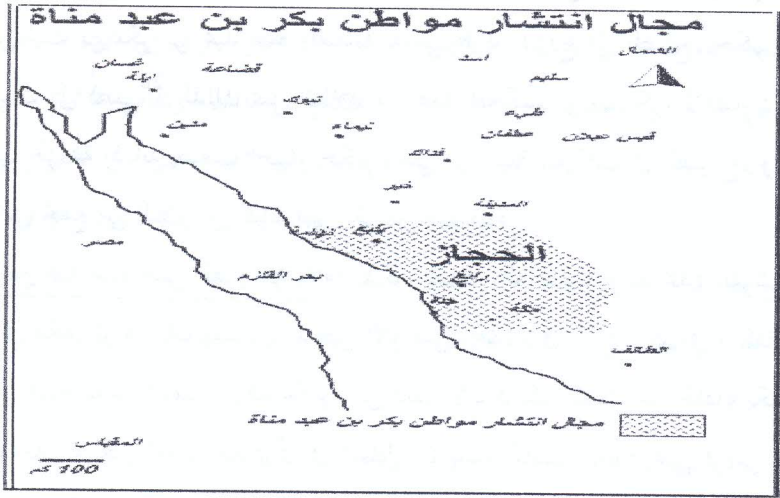
بنو العريج<sup>9</sup>: لم يكن لها فروع عند ظهور الإسلام مما يعني أنّها كانت محدودة المكانة والعدد.

2- مواطنها: تشير روايات عديدة إلى استقرار مجموعات من بكر في مكة قبل نزول قريش بها. وهو ما توحى به علاقتها الوطيدة بخزاعة عند سيطرة هذه الأخيرة على مكة وإجلاء جرهم عنها. وفي نفس المنحى يقول ابن حبيب<sup>10</sup> إنَّ جعثمة بن مبشر الأزدي خرج إلى مكة أيام هجرة الأزد، وهناك نزل في بني الدليل وحالفهم وتزوج فيهم، كما توجد رواية للبلاذري<sup>11</sup> تؤكد أنَّ هذا الاستقرار تمَّ أيضا في ظل حكم خزاعة. وأثناء الفترة النبوية كان أبناء البكير بن عبد ياليل (من بني ليث) يعيشون في مكة، وكان أبوهم نفيل بن عبد العزى حليفا لجدِّ عمر بن الخطاب<sup>12</sup>. وتعدَّ المنطقة الممتدة من جنوب غربي مكة إلى تُخوم المدينة أبرز مواطن بكر وتحديدًا إقليم الحجاز بمفهومه البشري الواسع والممتدَّ من الأطراف الغربية لهضبة نجد إلى منطقة قحمة والتي هي عبارة عن سهل ساحلي منخفض يُعرف بالغور وبالسَّافلة لما يغلب عليه من شدة الحرارة وركود الرِّيح<sup>13</sup>، وقد كانت هذه القبائل تضعن في هذا المجال متنقلة من منطقة إلى أخرى بحثا عن أماكن المياه. يذكر ياقوت مثلاً أنَّ بني نفاثة بن عدي بن الدليل كانوا بأسفل "دفاق" فأصبحوا ضاعنين وتواعدوا ماء "ظراء" وهو جبل في بلاد هذيل<sup>14</sup>. وكان بنو ضَمرة يتجهون صيفا إلى "ركبة" قرب الطائف لاعتدال طقسها ويغورون إلى تهامة شتاء بذات كيف<sup>15</sup>. كما كان بعض مجموعات بكر تُضطرَّ أحيانا إلى مغادرة منازلها قسرا إلى هضبة نجد عندما يقع إجلاؤها من قبل قبائل أخرى. حيث تذكر المصادر مثلاً أنَّه إثر انهزام بكر أمام قريش في وقعة "ذات نكيف" تمَّ إجلاء بني ليث من تهامة إلى نجد<sup>16</sup>.

وفي هذا الإطار تذكر كتب البلدان عدَّة مواطن كانت تتزل بها سائر فروع هذه القبائل. فقد استقرت مجموعات من بني ليث وبني الدليل في الجنوب الغربي لمكة وفي شمالها. ومن أبرز منازلها هناك "مجنَّة"، حيث يذكر الأزرقى أنَّها بأسفل مكة على بريد منها، أي بحر الظَّهران على نحو اثني عشر ميلا شمال هذه المدينة<sup>17</sup>. وتتميّز مجنَّة بوفرة مياهها وبكونها أحد أسواق العرب أيام الحجّ التي كانت تُقام في العشر الأخير من ذي الحجة مباشرة بعد انقضاء سوق عكاظ وذلك تحت حماية بني الدليل<sup>18</sup>. هذا فضلا عن مواطن أخرى هي أقرب إلى مكة منها إلى المدينة<sup>19</sup>. أمّا منازل بني ضَمرة فتنتشر بداية من منتصف الطريق بين القريتين<sup>20</sup>. وفي نفس

الإطار تنفرد غفار عن سائر بني ضمرة بعدة نقاط للمياه<sup>21</sup>، ومن أبرزها "بدر" و"أضاة بني غفار" التي تقع على مشارف المدينة.

وما يمكن استنتاجه هو استقرار بعض الفروع من بكر في مكة، وفي مقابل ذلك طابع البداوة الذي كان يُميّز مختلف تلك الفروع حيث كانت تضعن في منطقة قحاة والحجاز متبعة موارد المياه. كما كان بعضها يتجه صيفا إلى مناطق قرب الطائف هربا من الهجير.



## II- بكر بن عبد مناة خلال فترة ما قبل الإسلام:

1- جذورها التاريخية: ترتبط أولى الإشارات عن القبيلة برواية مصدرها ابن إسحاق<sup>22</sup>، وتعود أحداثها إلى زمن سيطرة قبيلة خزاعة على الحرم المكي وإجلائها جرهم عن ولاية البيت. تقول الرواية إنه بعد أن طالت ولاية جرهم وظلمت من دخل مكة من غير أهلها وأكلت مال الكعبة، أجمع كل من بكر بن عبد مناة وغُبشان من خزاعة على حربها وإخراجها من مكة، "فاقتتلوا فغلبتهم بنو بكر وغُبشان، فنفوهم من مكة". وإذا تجاوزنا البحث في صحة هذا الخبر، فإن ما رواه ابن إسحاق يشير إلى أن قسما من هذه القبيلة كان يستفيد من قدوم الحجيج إلى البلد الحرام ويحرص على تواصل السلم الاجتماعية فيه، ولم يكن من صالحه إفساد موسم الحج بظلم جرهم لمن يأتي إلى مكة وجورها عليهم.

وباستثناء هذه الرواية فإننا لم نعثر على إشارات أخرى حول بكر وذلك إلى حين سيطرة قُصي بن كلاب على مكة أثناء الثلث الأول من القرن الخامس للميلاد<sup>23</sup>، وتمدنا المصادر بروايتين مختلفتين عن هذه الفترة. تقول الأولى إنَّ بكرا وقفت إلى جانب خزاعة في صراعها مع قُصي خوفاً من أن يحول بينهم وبين الكعبة وأمر مكة<sup>24</sup>. بينما تشير الرواية الثانية إلى أن قبائل يسيرة من كنانة ساندته، وأنَّ بكرا اعتزلت القتال لأنها كانت مُقصاة عن ولاية الكعبة<sup>25</sup>. هذه الرواية الثانية يؤكدها موقف يعمر بن عوف المكتبي بـ "الشَّدَاخ" أحد حكام العرب من بني كعب بن ليث بن بكر بن عبد مناة. فعندما تداعى طرفا النزاع إلى الصلح، حكم بأن تؤول ولاية البيت إلى قُصي<sup>26</sup>. لذلك غيل انطلاقاً من هذا التحكيم إلى أنَّ بكرا لم تشارك في القتال إلى جانب خزاعة إذ أنه يصعب اختيار حكم ينتمي إلى قبيلة شاركت في الصراع، وربما أيضاً للقرابة التي تجمع بني النضر بن كنانة ببني بكر بن عبد مناة.

2- بكر بن عبد مناة حتى ظهور الإسلام: تذكر المصادر أنه عندما تزايد عدد القرشيين وقوي نفوذهم في مكة، أرادوا أن يستأثروا ببعض الأراضي الخصبة في "وَج"، أي في منطقة الطائف، وفي أرض قبيلة دوس اليمنية. وقد تمكَّنوا من ذلك لأنَّ قريشا كانت من حلفاء بكر بن عبد مناة وخزاعة<sup>27</sup>. لكن يخبرنا البلاذري في المقابل أنَّ بكرا كانت حاقدة على قريش لأنَّ قُصياً أخرجهم من مكة، لذلك هم البكريون في عهد عبد المطلب بإخراج قريش من الحرم وقتلها "حتى يغلبوهم عليه". هذه الرواية لا معنى لها، إذ من غير الممكن أن تكون هذه القبيلة الكنانية قادرة على مواجهة قريش زمن عبد المطلب تبعاً لما بلغته في عهده من قوَّة، ولما أقامته من معاهدات وتحالفات مع عديد القبائل لاسيما تلك التي أدمجتها معها في مؤسسة الإيلاف، أو تلك التي كوَّنت معها حلف الأحابيش.

وما نستشفه من مختلف الأيام والوقائع اللاحقة بين الطرفين هو اتصال العداء بالغارات المتكررة التي كانت تشنُّها بعض المجموعات من بكر على بعض أحلاف قريش من البدو كما تُؤكده وقعة "ذات نكيف"<sup>28</sup> والتي تعود أسبابها إلى القحط الذي أصاب أهل قمامة، وهو ما جعل بني ليث يتولون بأسفل قمامة ثمَّ يلي اليمن، وهناك أغاروا على رجل من القارة كان حليفاً لبعض أشراف قريش منهم هشام بن المغيرة المخزومي والعاص بن وائل السهمي. وثبَّن هذه

الوقعة القوتالية لبكر حيث يذكر ابن حبيب<sup>29</sup> أن قائدها "بلعاء بن قيس" كان فيها من الجرّارين، أي أنه قاد أكثر من ألف مقاتل ينتمون إلى مختلف فروع هذه القبيلة. لذلك أقدمت قريش على الإعداد الجيد للمواجهة عبر عقددها لحلف الأحابيش. وهو حلف عقده عبد مناف بن قصي في هذه المناسبة، ثم أصبح إثر ذلك حلفاً للدفاع المشترك ولحماية مكة والحرم. وقد شاركت فيه قبائل الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وعضل، والديش، وبني الهون بن خزيمه، والمصطلق، والحيا، من خزاعة<sup>30</sup>.

انتهت الوقعة بهزيمة بني ليث وإجلانهم من قمامة، فاتجهوا إثرها إلى نجد، ونزلوا في بني جعفر من بني عامر بن صعصعة، وهناك حالفوا الطفيل بن مالك، وأقاموا ثلاث سنوات في حمايته. ثم توترت العلاقات بين القبيلتين ما حدا ببني ليث إلى الإغارة على بني جعفر وبني هلال والفرار إلى "المشلل" بتهامة<sup>31</sup>. لكن قريشا أرادت إجلاءهم من جديد، فكان يوم "المشلل" الذي انتهى بهزيمتها<sup>32</sup>. ثم تواصلت النزاعات بينهما إلى يوم "فخ" والذي تم الاتفاق في أعقابها على إنهاء الصراع والقبول بتحكيم سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس نظرا لانتماء زوجته إلى ليث بن بكر<sup>33</sup>.

ورغم ذلك فقد بقي التوتر سائدا بين المجموعتين لما أسفرت عنه تلك المواجهات من دماء وما عقبها من ترصد بعض الأطراف الفرص طلبا للثأر. من ذلك مثلاً مقتل ابن لحفص بن الأخيف من بني عامر بن لؤي (قريش) في "ضجنان"، أحد مضارب بني ليث، والذي عقبه اغتيال سيد بني بكر عامر بن يزيد بن عامر بن الملوح بمر الظهران من قبل مكرز بن حفص انتقاما لمقتل أخيه وذلك قبيل غزوة بدر<sup>34</sup>. وفي خضم هذا الصراع ظهر الإسلام "فتشاغل الناس به حتى أجمعت قريش المسير إلى بدر فذكروا الذي بينهم وبين بني بكر فخافوهم"<sup>35</sup>. لذلك لم تبادر قريش بالخروج إلى بدر إلا بعد أن وعدهم سُرّاقة بن مالك بن جعشم أحد أشراف بني مُدَلج (مرة بن عبد مناة)، بأن يكون لهم جارا وأن لا تأتيتهم كنانة من خلفهم بشيء يكرهونه<sup>36</sup>.

لكن رغم هذا العداء توجد إشارات تُفيد تحالف عناصر من أشراف قريش مع بعض خُلاء بكر وصعاليكها. ويبدو أنهم كانوا يجندونهم لمواجهة أعدائهم والتعرض إلى منافسيهم في

التجارة. وهنا نخبرنا الروايات<sup>37</sup> بأنّ البرّاض واسمه رافع بن قيس (من بني ضمرة) كان من قُتاك الجاهلية، وكان حالف بني سهم من قريش، فعدا على رجل من هذيل فقتله، فخلعه بنو سهم، ثم جاء إلى "حرب بن أمية" فحالفه، فعدا على رجل من خزاعة فقتله والتحق باليمن ثم بالحيرة. وفي نفس السّياق، يتجلّى انغماس هذه القبيلة في حياة الغزو من خلال نهجها لقوافل التّعمان ملك الحيرة وما عقب ذلك من اندلاع حرب الفجار الثاني بين قريش وهوازن بين سنتي 585 و590م. وتمثّل مجمل الأحداث في أنّ التّعمان كان يرسل لطائمه، أي قوافله التجاريّة، لثّباع في المواسم ولاسيما في سوق عكاظ، وكانت تعود مُحمّلة بما تشتريه من تجارة اليمن والحجاز، وبما يأتي به العرب وسائر التّجار إلى السوق في أثناء الموسم<sup>38</sup>. وقد كانت هذه القوافل تمرّ آمنة بفضل الحِفارة التي كانت تحظى بها إلى أن قُتل ملك الحيرة أختلعة بن قيس، فجعل هذا الأخير يعترض لطائمه فينهاها. وكان آخرها تعرّض لطيمة إلى السّلب حينما أوكل التّعمان أمر حمايتها إلى عروة الرّحال من هوازن ولم يعهد بها إلى البرّاض، وهو ما دفعه إلى أن يترّص بالقافلة ويقوم بسلبها وقتل حاميتها.

يبدو أنّ تعرّض لقوافل التّعمان كان يخدم مصالح قريش في المحافظة على سيطرتها التجاريّة عبر ضرب التجارة الفارسية ومن كان يخفّرها من هوازن. وفي هذا المنحى، تُشير إلى أنّ الفرس قد حاولوا إثر استيلائهم على اليمن وسقوط حكم الأحباش سنة 575م أن يُسيّروا قوافل لحسابهم ولحساب حلفائهم ملوك الحيرة وذلك بربطها بتجارة اللّبان الحَضرمي واليمني، دون أن يسلكوا مسالك القوافل المكيّة<sup>39</sup>. لذلك يبدو أنّ ما قام به كلّ من بلعاء والبرّاض كان بتواطئ من قريش، وما يُرجّح ذلك حرص هذا الأخير على إعلام كلّ من حرب بن أمية وعبد الله بن جدعان وهشام والوليد ابني المغيرة بقتله عروة الرّحال<sup>40</sup>، وهو ما يعني إدراكه أنّ قريشا ستسانده حتّى وإن كان حافزه على القتل شخصياً<sup>41</sup>. لكنّ هذا الدعم القرشي للتهب البدوي كان طارئاً، ولم يكن لبؤس بحكم التنافر بين القبيلتين علاقات وطيدة بينهما. وما يؤكّد ذلك ما حدث في يوم "شمطة"، أحد أيام الفجار الذي واجهت فيه قريش وحليفاتها كلّاً من هوازن وسليم، إذ عمد بنو بكر بقيادة بلعاء بن قيس إلى خذلان قريش بالانسحاب من القتال وهو ما أدّى إلى انهزامها<sup>42</sup>.

تتجلى بداوة بكر أيضا من خلال ما يُروى عن قطع غفار للطريق واعتراضها لقوافل الحجيج، وانتهاكها الشهر الحرام<sup>43</sup>، ومن خلال تبادل الغارات بين حشود من بكر ومجموعات قبلية أخرى سواء يدافع الثَّار أو الغنيمة والسَّيطرة على نقاط المياه. ومن بين الوقائع ما يُعرف بآيام "الكديد" و"برزة" و"الفيفاء" في مواجهة بني سليم (قيس)<sup>44</sup>، والتَّزاع بين غفار وثعلبة بن سعد (من ذبيان)<sup>45</sup>، و"آيام مُحارب بن فهر وبني صَمرة"<sup>46</sup>. هذا علاوة على توتُّر علاقات بني الدَّبل ولاسيما بني ثُفائة منهم بخراعة، حيث دخل الفريقان في سلسلة من المواجهات كان آخرها قيام مجموعة خزاعية بمهاجمة بني الأسود بن رزن وقتل بعض أشرافهم وهم بعرفة عند أنصاب الحرم<sup>47</sup>، ثم جاء الإسلام فحجز بين الفريقين.

III- بكر بن عبد مناة خلال الفترة النبوية: ما يربط بين قبائل بكر هو دخول عدد من أفرادها في الإسلام منذ الفترة المكيَّة. بينما لم نقف على مشاركة جماعيَّة لمختلف فروعها في مغازي المسلمين وذلك إلى حدود غزوة خيبر سنة 7هـ/628م. وحتى ما ترويه المصادر من انضمام بكر إلى صفِّ قريش إثر صلح الحديبية سنة 6هـ/627م، فإنَّه لا ينبغي على وفاق بين هذين الطرفين حيث لم يكن إلَّا انعكاسا لتوتُّر علاقات أحد فروعها من بني الدليل بخراعة. فكيف تتجسّد أبرز محطات تاريخ هذه المجموعات القبليَّة خلال الفترة النبويَّة؟

1- أسلمة فردية مبكّرة: يُعدّ عدد من الصَّحابة من بكر من الذين أسلموا في فترة مبكّرة سبقت الهجرة إلى الحبشة، وهم الذين يدرجهم ابن سعد تحت عبارة "وهو قديم الإسلام"<sup>48</sup>. وقد تواصلت هذه الأسلمة خلال الفترة المدنيَّة وأخذت نسقا تصاعديا لاسيما في الفترة الفاصلة بين صلح الحديبية وفتح مكَّة.

يُعتبر أبو ذر الغفاري، واسمه جُنْدَب بن جُنادة، أوَّل من دخل في الإسلام من بكر، ويُعدّ رفقة عمرو بن عَبَسَةَ السُّلمي أوَّل من أسلم من البدو. ويذكر الواقدي أنَّ إسلامه كان رابعا أو خامسا<sup>49</sup>، وأنَّه عاد إلى قومه لنشر الدِّين الجديد. ويوجد خلاف في الرِّوايات حول هذه الشَّخصية قبل إسلامها. فمنها ما يذكر أنَّه كان يقطع الطريق، ومنها ما يقول إنَّه كان يتألَّه ولا يعبد الأصنام<sup>50</sup>، لكن يبدو أنَّ ما يُروى عن تألَّهه هو انعكاس لصحبته اللاحقة. وإثر اعتناقه الإسلام تروي المصادر أنَّه انشغل بنشر هذا الدِّين في غفار فما أحرَّ هجرته إلى ما بعد غزوة

الخندق<sup>51</sup> سنة 5هـ/626 م. وهنا يُحدثنا الواقدي<sup>52</sup> في كثير من المبالغة أن دعوته لغفار قد أفضت إلى إسلام نصف القبيلة قبل الهجرة والتّصف الآخر بعدها. ولتقصي الدّور الذي أدّاه أبو ذر في هذا المجال، يبدو من الأكيد تتبع إشكالية إسلام إيماء بن رَحْضة سيّد هذه القبيلة. تختلف الأخبار في شأن إيماء، حيث يذكر بعضها أنه أسلم مبكراً بإسلام أبي ذر، وأنّه كان يومَ بني غفار في الصّلاة منذ الفترة المكيّة. وقد جاء في أحد روايات أسباب نزول الآية الحادية عشرة من سورة الأحقاف: "وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ". أنّها نزلت في بني غفار حيث أسلم سيّدهم، إيماء بن رَحْضة، بإسلام أبي ذر، ثم دعاهم سيدهم فأسلموا، فبلغ ذلك قريشا فقالوا: "غفار الحلفاء لو كان هذا خيرا ما سبقونا إليه"<sup>53</sup>. لكن يصعب قبول ذلك، حيث جاء في أخبار أخرى أنّ سيّد بني غفار عرض على قريش أن يمدهم بسلاح ورجال عند خروجهم إلى بدر لمواجهة المسلمين، وأنّه لم يسلم إلاّ سنة ست للهجرة<sup>54</sup>، عندما أهدى للتبّي وهو بالأبواء في طريقه إلى الحديبية جزرا ومائة شاة وبعيران يحملان لبنا<sup>55</sup>. لذلك يبدو أنّ قسما من غفار قد دخل الإسلام مبكراً بدعوة أبي ذر كما تُؤكّده معاهدة الرّسول مع هذه القبيلة قبيل غزوة بدر<sup>56</sup>. لكن يبدو أنّ القسم الأكبر قد أسلم في السّنة السّادسة للهجرة تبعا لإسلام إيماء.

من العناصر ذات الإسلام المبكر أبناء أبي البكير اللّيثيين، عاقل وخالد وعامر وإياس<sup>57</sup> وكانوا يعيشون في مكة، ودخلوا الإسلام في دار الأرقم بن أبي الأرقم، وهم أوّل من بايع الرّسول فيها. وعند الهجرة خرجت كامل عائلاتهم و"لم يبق في دورهم أحد حتى غلقت أبوابهم". ويعني وجودهم في البلد الحرام أنّهم كانوا مواكبين للدّعوة النّبويّة منذ ظهورها. وقد قُتل عاقل في بدر، وشارك خالد في بدر وأُحد وقتله بنو لحيان الهذيليّون يوم الرّبيع سنة 4هـ/625م، أمّا إياس وعامر فقد شهدا كلّ المغازي. وفي نفس السّياق، توجد عدّة أسماء أخرى من قديمي الإسلام من أبرزهم أنيس بن جُنادة<sup>58</sup> الذي أسلم بإسلام أخيه أبي ذر لكنّا لا نملك عنه معطيات. وكذلك كلّ من عبد الله وعبد الرّحمان ابنا الهبيّب من سعد بن ليث<sup>59</sup>، ويبدو أنّهما كانا على اطلاع على مراحل الدّعوة النّبوية بمكّة نظرا إلى أنّ أهمّهما هي بنت نوفل بن خويلد (من أسد بن عبد العزّى) أحد سادة قريش ومن رؤوس المعارضة في الفترة المكيّة، وقد قتل

الأخوان في غزوة أُحُد. هذا علاوة على كلٍّ من جُعَال بن سُراقَة الضَّمْرِي وأبو رهم الغفاري، وقد شارك الاثنان في المغازي بداية من أُحُد<sup>60</sup>.

بالإضافة إلى هؤلاء، تذكر أسماء لبعض الصحابة الذين أسلموا بين الهجرة وغزوة الخندق على غرار أبي واقد الليثي<sup>61</sup> الذي شهد بدرًا، وكان له لواء بني ليث وضَمرة وسعد يوم الفتح وفي غزوة حنين. وغالب بن عبد الله الليثي<sup>62</sup> الذي تميّز بقدراته القتالية حيث قاد ثلاث سرايا سنوات اثنتين وسبع وثمان للهجرة، كما أرسله النبي لاستطلاع الطريق عند فتح مكة. وشَدَاد بن الهادي الليثي<sup>63</sup>، حليف بني هاشم، ويبدو أنّه كان من الأشراف حيث ورد في ترجمته أنّه كان صهرا لأبي بكر وللتّي، وأ أنّه "كان يوقد ليهندي إليه الأضياف"، وأ أنّه شهد الخندق. وعُوف بن الأضيّط الديلي<sup>64</sup>، وقد استعمله الرّسول على المدينة في عمرة القضاء سنة 7هـ/628م. وكذلك كلٌّ من الصّعب وليث ومُحَلّم أبناء جثامة بن قيس الليثي، وأمهم فاختة بنت حرب، أخت أبي سفيان. وقد شارك جميعهم في غزوة خيبر<sup>65</sup>.

تمدّدنا المصادر أيضا بتراجم ثلاثة أفراد شاركوا مع قريش ضدّ المسلمين ثمّ أسلموا لاحقا وهم: نوفل بن معاوية بن عروة<sup>66</sup>، أحد سادة بني نُفَانة (الدّيل)، قاتل مع قريش في بدر وأُحُد وكان وراء مقتل عنصرين من المسلمين، ثمّ أسلم وشارك في حُنين سنة 8هـ/629م، وكان ثمّن تحصّل على أقل من خمسين من الإبل في الجُعرانة التي تمّ فيها تقسيم غنائم هذه الغزوة. وعمرو بن أمية بن خويلد الضّمْرِي<sup>67</sup> وكان متزوّجا من إحدى القرشيّات وهي سخيّلة بنت عبدة بن الحارث بن المطلب، وقد شهد بدرًا وأحدا مع قريش ثمّ أسلم وشارك في بشر معونة سنة 4هـ/625م، وكان الوحيد الذي نجا من القتل. وقُبَاث بن أشيم<sup>68</sup> بن عامر، ابن سيد بني ليث وحفيد الشّدّاخ الذي حكم في الصّراع بين خزاعة وقريش، قاتل في بدر مع قريش ثمّ أسلم بعد الخندق وشارك مع الرّسول في الفتح وفي حُنين. وحذيفة بن أسيد الغفاري الذي شهد الحديبية<sup>69</sup>.

ترد أيضا إشارات مقتضبة إلى بعض الأفراد الذين يصعب تحديد فترة دخولهم في الإسلام أو ثمّن تأخر إسلامهم إلى فتح مكة<sup>70</sup>. وما يجمع بين تراجم أغلب أفراد هذه المجموعة هو روايتهم لبعض الأحاديث<sup>71</sup>.

وما يمكن استنتاجه هو وجود عديد البكرين الذين دخلوا الإسلام منذ فترة مبكرة منهم من كان يقطن في مكة ومنهم من كان من البدو. كما نلاحظ أيضا وجود بعض علاقات المصاهرة والحلف مع عناصر شريفة من قريش من المرجح أنها تسجّت في إطار مزيد حماية الخطوط التجارية. وتؤكد هذه التراجم أيضا وجود بعض أشراف بكر على غرار إيماء بن رخصة والحكم بن عمرو، لكن القسم الأكبر كان مكوّنا من عناصر فقيرة ولاسيما من أهل الصّفة<sup>72</sup>، أي أولئك الذين كانوا يعيشون الفاقة وينامون "في المسجد، ويظّلون فيه ما لهم مأوى غيره"<sup>73</sup>.

## 2- قبائل بكر بن عبد مناة خلال الفترة المدنيّة:

أ- معاهداتها مع الرّسول: انطلاقا من بداية السنة الثانية للهجرة، عمل النبي على عقد مجموعة من التحالفات مع البدو الذين يعيشون بين المدينة ومكة على غرار بدو جُهينة وضَمرة وغفار وذلك بهدف تحقيق الأمن الجماعي للمسلمين ومنع أي تحالف بينهم وبين قريش يمكن أن يمثّل خطرا على المسلمين. وفي هذا الإطار تقول المصادر إنّ النبي قام قبل غزوة بدر بنسج ثلاث معاهدات مع مجموعات من بكر بن عبد مناة.

- في غزوة ذات العشرة التي تمّت في الشّهر الثّاني عشر من الهجرة خرج الرّسول في سبعين من المهاجرين يريد قريشا. وفي هذه المناسبة قام بمواعدة بني ضَمرة وبني مدلج وكتب بينه وبين مخشي بن عمرو كتابا "على أن لا يغزو بني ضَمرة ولا يغزوه، ولا يكثرُوا عليه جمعا، ولا يعينوا عدوا، وكتب بينه وبينهم كتابا"<sup>74</sup>.

- معاهدة ثانية مع بني ضَمرة تنصّ على أنّهم "آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأنّ لهم التّصر على من رامهم، إلّا أن يحاربوا في دين الله ما بلّ بحر صوفة. وإنّ النبي إذا دعاهم لنصره أجابوه. عليهم بذلك ذمّة الله وذمّة رسوله. ولهم التّصر على من برّ منهم واتقى"<sup>75</sup>.

معاهدة مع بني غفار تذكر أنّهم "من المسلمين، لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين. وإنّ النبي عقد لهم ذمّة الله وذمّة رسوله على أموالهم وأنفسهم، ولهم التّصر على من بدأهم بالظلم. وإنّ النبي إذا دعاهم لينصّروه أجابوه وعليهم نصره، إلّا من حارب في الدّين، ما بلّ بحر صوفة. وإنّ هذا الكتاب لا يحول دون إثم"<sup>76</sup>. ويبدو أنّ هذه المعاهدة هي نفسها التي

أشار إليها ابن حبيب عندما روى أن الرسول كتب مع بني غفار كتاب مُدَاجَة في شعبان من السنة الثانية للهجرة، أي قبيل غزوة بدر<sup>77</sup>.

وما يمكن ترجيحه هو أن الإسلام المبكر لعناصر من غفار كان عاملاً بارزاً في إبرام هذه المعاهدة، كما يبدو أن مفهوم "التنصر" الذي تم ذكره يعني مد المسلمين بأخبار قريش<sup>78</sup>.

ب- مشاركاتها في المغازي: تبين أخبار المغازي عدم مشاركة قبائل بكر فيها وذلك إلى حدود غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة. وهنا يبدو أن نصوص المعاهدات التي أبرمتها بكر مع دولة المدينة الناشئة لم تقم إلا بتحييدها عن الصراع الدائر مع قريش. كما أن المعاهدة مع غفار التي تنص بأنها من المسلمين لم تكن دافعاً لاستنفارها للغزوات وذلك إلى حدود الحديبية سنة 6هـ/627م. ولئن اكتفى الرسول في هذه المرحلة بموادعة قبائل البدو<sup>79</sup>، فإن الأمر قد اختلف في الحديبية التي استنفر فيها لأول مرة القبائل الحليفة من غفار وجُهينة ومُزينة. لكنها تخلّفت عنه ولم يشهدا معه سوى 1400 أو 1500 شخصاً أغلبهم من المهاجرين والأنصار وقبيلة أسلم التي مثلت ثمن المستنفرين<sup>80</sup>، وتذكر أسباب التّروّل أن الآية الحادية عشر من سورة الفتح "سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ [...]" قد نزلت في الأعراب الذين كانوا يقطنون حول المدينة من غفار ومُزينة وجُهينة وأسلم وأشجع والدليل<sup>81</sup>. ويظهر أن تخلّفهم يعود إلى خوفهم من مواجهة قريش وأحلافها<sup>82</sup> كما تؤكد الآية الموالية من نفس السّورة: "بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنْتُمْ ظَنُّ السَّوءِ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا". وتذكر الروايات كما أشرنا آنفاً أن إيماء بن رَحْضَة اكتفى بتقديم بعض الهدايا للنبي دون أن يعيى قبيلته.

وانطلاقاً من غزوة خيبر نلاحظ تصاعداً تدريجياً في عدد البدو من بكر الذين ساندوا المسلمين. لكن يجب إدراج هذا الدعم في إطار أوسع يتمثل في التحاق العديد من قبائل الحجاز بجيوش المسلمين على غرار خُزاعة، ومُزينة وجُهينة مع بعض الحُشود من أشجع وسليم وتغلبة<sup>83</sup>، وذلك بالتوازي مع تنامي عائدات الغنائم المتأتية من غزوتي بني قُريظة في أواخر سنة 5هـ/626م<sup>84</sup> وخبير<sup>85</sup>، وكذلك من الغزوات ضد بعض قبائل بدو الحجاز، وبعض الوحدات

الصغيرة من سليم وغطفان على غرار فزارة<sup>86</sup>. وفي المقابل، بقيت القبائل الكبرى التي تعيش في نجد أساساً مثل طيء، وقحيم، وعامر بن صعصعة خارج اهتمام دولة المدينة<sup>87</sup>. وفي هذا الاتجاه، انطلقت مشاركة غفار في خير بصفة مُحْتَشِمَةٍ حيث لم يتجاوز عدد مقاتليها بضعا وعشرين شخصا تحصلوا مع أسلم على سهم من جملة ثمانية عشر سهماً<sup>88</sup>، هذا بالإضافة إلى خروج بعض نساء هذه القبيلة لمداواة جرحى المسلمين<sup>89</sup>. كما كانت غفار وضمرة عموماً من بين المجموعات التي أرسل إليها الرسول لفتح مكة سنة 8هـ/629م، إذ أنّ القبائل التي شهدت الفتح، بالإضافة إلى المهاجرين والأنصار، هي تلك التي أبدت مساندتها للدعوة النبوية سابقاً<sup>90</sup>. وقد شاركت غفار بثلاثمائة مقاتل حسب الواقدي أو أربع مائة حسب ابن إسحاق يحمل لواءهم أبو ذر الغفاري، أو إيماء بن رخصة<sup>91</sup>. كما شاركت كل من ليث وضمرة وسعد بعدد قليل لم يتجاوز مائتي مقاتل، وهو ما يعني عدم اهتمام قسم كبير منها بالحوار السياسي والديني الذي كانت تشهده منطقة الحجاز. وقد أسهمت هذه القبائل من بكر بن عبد مناة في غزوة حنين<sup>92</sup>، في شوال من سنة 8هـ/629م بنفس الأعداد باعتبار أنّ الذين خرجوا إلى فتح مكة قد شاركوا أيضاً في هذه الغزوة.

يتبين إذن أنّ قسماً من بدو هذه القبائل لم يكن متحمساً للدين الجديد وهو ما نستشفّه من تحلّف الأعراب عن التّبيّ في تبوك 9هـ/630م عندما خرج المسلمون بهدف مواجهة الروم وحلفائهم من لخم وجذام. وتذكر بعض روايات أسباب التّزول أنّ من بين من تصفهم الآية 90 من سورة التوبة بـ"المعدّون من الأعراب"، اثنان وثمانون رجلاً من غفار منهم سيدهم خُفّاف بن إيماء بن رخصة<sup>93</sup>. وما يبرز هو أنّ هذه الغزوة جاءت "في شدّة من الحرّ وجذب من البلاد" لتفسّر لنا أسباب هذا التخلّف، كما يبدو أنّ غياب سيدهم عن تبوك قد ساهم في تخلف "المعدّين" من غفار. وإذا اعتبرنا أنّ عدد الذين شاركوا من هذه القبيلة في فتح مكة كان ثلاثمائة أو أربعمئة مقاتل، فإنّه يمكن ترجيح أنّ عدد المتخلّفين كان في حدود الرّبع.

لكن رغم تخلف عديد المجموعات عن الخروج إلى تبوك، كان هناك ترايد تدريجي لعدد المساندين للدعوة النبوية شمل قبائل الحجاز وقحمة والأطراف الغربية لنجد وذلك بدرجات متفاوتة. لذلك هاجرت مجموعات بدوية متعدّدة إلى المدينة وبت فيها دوراً يسمّيها ابن شبة<sup>94</sup>

"محال القبائل من المهاجرين". وقد نزلت غفار وضمرة وليث والدليل بالمدينة في خطط خاصة بها وبنيت فيها مساجد<sup>95</sup>.

ج- صراعاتها القبلية: في مقابل ما ترويه المصادر عن دخول بعض الأفراد والمجموعات في الإسلام، نلاحظ عدم اكتراث مجموعات أخرى بما كان يحدث من تحولات دينية وسياسية وواصلت غط عيشها القديم وذلك إلى حدود فتح مكة. وهو ما تؤكد أحداث عديدة أبرزها تواصل صراع بني الدليل وخزاعة. وما نرجحه هنا هو أنّ حلف بكر بن عبد مناة مع قريش في الحديبية قد شمل فرع بني الدليل أساسا، وأنه يندرج في إطار توتر العلاقات بخزاعة ولا علاقة له بمساندة أحد طرفي النزاع. وبما أنّ خزاعة اختارت مساندة المسلمين فقد ارتأى الطرف المقابل الانضمام إلى قريش. وإثر الصلح استغلّ بنو الدليل، ولاسيما مجموعة بنو نفاعة، الهدنة فقاموا بمهاجمة بني كعب بن عمرو الخزاعيين، على ماء لهم يُسمّى الوثير في أسفل مكة، وذلك بإيعاز من بعض أشرف قريش الذين لم يكونوا راغبين في الصلح، ومن بينهم صفوان بن أمية، وسهيل بن عمرو، ومكرز بن حفص، وحويطب بن عبد العزى. ثم واصل البكريون تبعهم داخل الحرم وحاصروهم في دار بُديل بن ورقاء ورافع مولى خزاعة ثلاثة أيام. وقد أسفرت هذه الواقعة عن مقتل عشرين أو ثلاثة وعشرين نفرا من بني كعب بن عمرو<sup>96</sup>. لذلك فقد خرج عمرو بن سالم في أربعين رجلا من خزاعة إلى المدينة يطلب المساندة من الرسول الذي اعتبر أنّ التعدي على أحد حلفائه نقضا للعهد<sup>97</sup>.

خاتمة: سعينا من خلال هذا البحث إلى دراسة قبائل بكر بن عبد مناة باعتبارها تمثّل نموذجاً لتاريخ المجموعات الكنانية إلى نهاية العهد النبوي. وما يمكن استنتاجه هو تلك الاستقلالية التي ميّزت الفروع القبلية المنبثقة عن بعضها البعض في حياتها وشؤونها، إذ لم يكن يتم التحالف بينها إلّا في حالات عارضة. إلى جانب ذلك، ارتبط غط عيش هذه القبائل بحياة البداوة والترحال، وذلك رغم استقرار بعضها بمكة، وهو ما يبيّن ضعتها المتواصل داخل منطقة قحاة والحجاز بحثا عن نقاط المياه، وتوجّه بعضها صيفا إلى مناطق قرب الطائف هربا من شدة الحر. كما تجسّد هذا الطابع البدوي أيضا في صراعاتها مع مجموعات قبلية أخرى وما أفرزه

ذلك من ثارات وضغائن. هذا علاوة على انغماس بعض صعاليكها في قطع الطرق، وهو ما عملت قريش على الاستفادة منه لضرب تجارة الحيرة والفرس.

على صعيد آخر، تبرز كتب الطبقات والتراجم دخول أفراد من بكر في الإسلام منذ الفترة المكيّة وارتفاع عددهم تدريجياً طيلة الفترة المدنية إذ شارك بعضهم في المغازي. أمّا على صعيد المجموعات القبليّة، فقد مثّل الموقع الجبالي المتميّز بين مكّة والمدينة عاملاً رئيساً في إبرام الرّسول معاهدات مواعدة مع غفار وضمّرة منذ السنة الثانية للهجرة. ولعلّ هذه المعاهدات هي التي تُفسر عدم قيام أي مواجهة بين الطرفين. لكنّ حضور بكر الجماعي في المغازي لم ينطلق إلا مع خبير بمشاركة عدد محدود من غفار. ورغم تخلف عدد من الفروع عن الخروج إلى تبوك، فقد كان هناك ارتفاع تدريجي لعدد المساندين للدعوة النبوية شمل جلّ قبائل الحجاز.

#### الهوامش:

- 1- ابن حبيب، المنقّى في أخبار قريش، تحقيق خورشيد أحمد فاروق، عالم الكتاب، بيروت، 1405هـ / 1985م، ص29، البلاذري، أنساب الأشراف، تحقيق سهيل زكار ورياض زركلي، دار الفكر، بيروت، 1417هـ / 1996م، ج1، ص55.
- 2- ابن الكلبي، جبهة التسب، تحقيق محمود فردوس العظم، دار اليقظة العربيّة، دمشق، 1986م، ج1، ص193، ابن حزم، جبهة أنساب العرب، تحقيق عبد السلام محمّد هارون، دار المعارف، مصر، 1391هـ / 1971م، ص180.
- 3- ابن الكلبي، جبهة التسب، ج1، ص193، البلاذري، أنساب، ج11، ص83، ابن حزم، الجهمرة، ص180، السهيلي، الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق عبد الرحمان الوكيل، دار الكتب الحديثة، ط1، 1387هـ / 1967م، ج2، ص58 --- 4- ابن الكلبي، كتاب الأصنام، تحقيق محمد عبد القادر أحمد وأحمد محمد عبيد، مكتبة النهضة المصريّة، القاهرة، 1993، ص24، ابن هشام، السيرة، ج1، ص76-77 --- 5- ابن حبيب، المنقّى، ص115-116.
- 6- ابن الكلبي، جبهة التسب، ج1، ص193-207، ابن حزم، الجهمرة، ص180-184، البلاذري، أنساب، ج11، ص85-106 --- 7- ابن الكلبي، جبهة التسب، ج1، ص208-212، ابن حزم، الجهمرة، ص184-185، البلاذري، أنساب، ج11، ص106-119 --- 8- ابن الكلبي، جبهة التسب، ج1، ص215-226، ابن حزم، الجهمرة، ص185-187، البلاذري، أنساب، ج11، ص119-133 --- 9- ابن الكلبي، جبهة، ج1، ص208، ابن حزم، الجهمرة، ص184، البلاذري، أنساب، ج11، ص103 --- 10- ابن حبيب، المنقّى، ص82 --- 11- البلاذري، أنساب الأشراف، ج1، ص84 --- 12- ابن سعد، الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، 1959، ج3، ص388 --- 13- ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار بيروت، 1408هـ / 1988، مادة "قمامة"، ج2، ص63-64.
- 14- المصدر السابق، مادة "ظراء"، ج4، ص59 --- 15- البكري، معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، عالم الكتاب، بيروت، 1403، ج2، ص669 --- 16- ابن حبيب، المنقّى، ص117.
- 17- الأزرق، أخبار مكّة، تحقيق رشدي الصالح ملحس، دار الأندلس، بيروت، 1969، ج1، ص190، حنّور (عدنان محمد)، مواسم العرب الكبرى، مؤسسة الرواح الحديثة، بيروت، 1999، ج2، ص303.
- 18- المصدر السابق، ج1، ص188، وص2، ص154، الأفغاني، أسواق العرب في الجاهليّة والإسلام، دار الفكر، دمشق، 1397هـ / 1960م، ص151-152، حنّور، مواسم العرب، ج2، ص303-306.
- 19- من منازل ليث "المشلل الذي كان مقرّاً للأخوة "مناة"، هذا بالإضافة إلى عدّة نقاط مياه أخرى منها "تعين" و"ذو الرّيان" و"المرايد"، و"ضجنان". وعدّة جبال مثل "الشّراء" قرب عسفان، و"نبهان" التي كانت تقاسم مع جُهينة. أنظر: البكري، معجم ما استعجم، ج1، ص315، وج2، ص656، وج3، ص786، وج4، ص1310، ابن حبيب، المنقّى، ص117، وص118. ومن مواطن بني الذّيل "رحّة" و"الخدث"

- والمنصحة وبعض الجبال منها "كراش"، و"الوصيق" الذي يتقاسمه بني عبد بن عدي بن الذليل وهذيل، انظر: البكري، معجم، ج4، ص1122، ياقوت، معجم البلدان، ج3، ص39، ج4، ص37، ص59، ص60، ص211.
- 20- من نقاط المياه التي كانت لبني ضمرة "كلية"، التي تقع بين مكة والمدينة، وهي بعد تسعة أميال عن المشلل. و"وَدَّان" وهي قرية بين مكة والمدينة كانت تقطنها مع سائر كنانة وغفار وفهر. و"ذات كنيف" بنهامة. و"البزواء" قرب المدينة، وهي أرض بيضاء مرتفعة من ساحل البحر تتميز بشدة حرارتها. وثاغل الأكبر وثاغل الأصغر: جبلان في تمامة لما يلي المدينة. والأبواء: لبني ضمرة وبني بكر عموماً قرب المدينة في الطريق إلى مكة وقد سُمِّيَ هذا الموقع بالأبواء نسبة إلى كثرة سيوله. أنظر: البكري، معجم، ج1، ص136، ص231، ص246، ج2، ص356، ص659، ص669، ج3، ص956، ص1010، ص1052، ج4، ص1227، ص1402، ياقوت، معجم البلدان، ج4، ص122، ج5، ص449-450، عمر رضا كحالة، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، دار العلم للملايين بيروت 1388 هـ - 1968م، ج2، ص668.
- 21- من مواطنها أيضاً "البغيغة" و"غيققة" و"بعال"، و"أذنان الصفراء". أنظر البكري، معجم، ج1، ص164، ج4، ص1122، ياقوت، معجم البلدان، ج1، ص214، ص452، ج4، ص222.
- 22- ابن هشام، السيرة، ج1، ص113-117، الفاسي، شفاء الغوام بأخبار البلد الحرام، تحقيق عادل عبد الحميد العدوي، وهشام عبد العزيز عطاء، وأشرف أحمد الجمال، تحت إشراف سعيد عبد الفتاح، ط1، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة، الرياض 1417 هـ / 1996 م، ج2، ص649-651.
- 23- سحاب (فكتور)، إيلاف قريش. رحلة الشتاء والصيف، المركز الثقافي العربي، ط1، بيروت، 1992، ص202 و ص287، الجوادى (محمد)، الأشراف من ظهور الإسلام إلى نهاية القرن الأول للهجرة، أطروحة دكتوراه، إشراف د. راضي دغفوس، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، 2002، ص41. --- 24- ابن حبيب، المنق، ص81، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص69، ابن هشام، السيرة، ج1، ص123-124. --- 25- الأزرقى، أخبار مكة، ج1، ص107.
- 26- ابن سعد، الطبقات، ج1، ص69، الأزرقى، أخبار مكة، ج1، ص107. --- 27- ابن حبيب، المنق، ص232.
- 28- المصدر السابق، ص113-116. --- 29- المصدر السابق، ص115.
- 30- المصدر السابق، ص229-231، ابن سعد، الطبقات، ج1، ص127 و ج5، ص57.
- WATT (W. M.), Mahomet à la Mecque, Payot, Paris 1977, p33, HAMIDULLAH (M. ), Le prophète de l'Islam, éd. J. Vrin, Paris, 1378/ 1959, T.1, p299 .
- 31- ابن حبيب، المنق، ص115-116. --- 32- المصدر السابق، ص117-120. --- 33- المصدر السابق، ص123، ابن سعد، الطبقات، ج4، ص94. --- 34- ابن الكلبي، جهرة النسب، ج1، ص194، ابن هشام، السيرة، ج1، ص611. --- 35- ابن هشام، السيرة، ج1، ص611. --- 36- الواقدي، المغازي، تحقيق فارس سدن جونس، أكسفورد، 1966، ج1، ص38، ابن هشام، السيرة، ج1، ص611. --- 37- ابن حبيب، المنق، ص164.
- 38- جواد علي، المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار الساقى، ط4، بيروت، 1422هـ / 2001م، ج5، ص277.
- 39- سحاب (فكتور)، إيلاف قريش. رحلة الشتاء والصيف، كوميو نشر والمركز الثقافي العربي، ط1، 1992، ص311، عبدولي (جمال)، خضراء قريش قبل الإسلام. عبد الله بن جدعان أنموذجا، مركز النشر الجامعي، منوبة، 2013، ص240.
- 40- البلاذري، أنساب، ج1، ص111. --- 41- الأفغاني، أسواق العرب، ص144. WATT, Mahomet à la Mecque, p37. --- 42- ابن حبيب، المنق، ص181، عبدولي، خضراء قريش، ص243-245. --- 43- ابن سعد، الطبقات، ج4، ص219، و ص223، البلاذري، أنساب، ج11، ص125. --- 44- ابن عبد ربّه، العقد الفريد، تحقيق عبد المجيد الترحيني، دار الكتب العلمية، ط3، 1407هـ / 1987م، ج6، ص37-40. --- 45- ياقوت، معجم، ج2، ص217. FÜCK (J. W.), Ghifar, in E.I./2., T2, p1097. --- 46- ابن حبيب، المنق، ص123-125.
- 47- الواقدي، المغازي، ج2، ص781، الطري، تاريخ الأمم والملوك، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث العربي، بيروت، 1967، ج3، ص43، ابن هشام، السيرة، ج2، ص389، الجوادى (محمد)، قبيلة خزاعة. من الجذور إلى مطلع الخلافة العباسية. مركز النشر الجامعي، منوبة، 102-103.
- 48- يربط ابن سعد أصحاب "الإسلام القديم" بالهجرة إلى الحبشة أساساً، فقد جاء في تعريفه للطبقة الثانية من المهاجرين والأنصار بأنهم: "من لم يشهد بدرًا ولهم إسلام قديم، وقد هاجر عاقبتهم إلى أرض الحبشة، وشهدوا أحداً وما بعدها من المشاهد"، الطبقات، ج4، ص5. أنظر بعض الأمثلة في: ج3، ص99، ج4، ص104، و ص119-122، و ص124. ....

- 49- المصدر السابق، ج4، ص224، الطبري، التاريخ، ج2، ص317. --- 50- المصدر السابق، ج4، ص222. --- 51- المصدر السابق، ج4، ص226. --- 52- المصدر السابق، ج4، ص221. --- 53- القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ/1985م، ج16، ص189.
- 54- ابن عبد البر، الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، بيروت، 1412هـ/1992م، ج1، ص135، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، 1415هـ/1994م، ج1، ص344. --- 55- الواقدي، المغازي، ج2، ص577. --- 56- ابن سعد، الطبقات، ج1، ص274.
- 57- ابن الكلبي، جهرة النسب، ج1، ص203، ابن سعد، الطبقات، ج3، ص388، وص389، ابن هشام، السيرة، ج1، ص260-261، السهيلي، الروض الأنف، ج1، ص438. --- 58- ابن سعد، الطبقات، ج1، ص221. --- 59- المصدر السابق، ج2، ص42، وج4، ص245. --- 60- المصدر السابق، ج4، ص244-245. --- 61- الواقدي، المغازي، ج2، ص817، وص890، وص893، وص990، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج4، ص1774. --- 62- الواقدي، المغازي، ج1، ص5-6، ابن سعد، الطبقات، ج2، ص119، وص124-126، الطبري، التاريخ، ج2، ص483، وج3، ص22، وص27-28، وص154، وص157.
- 63- ابن خياط، الطبقات، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 1414، 1993، ج1، ص36، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج2، ص995-996، كان متزوجاً من سلمى بنت عيسى أخت أسماء بنت عميس، زوجة أبي بكر. كما أن أسماء هي أخت ميمونة بنت الحارث، زوجة الرسول من الأم، ابن حبيب، آخر، ص108.
- 64- ابن ماکولا، الإكمال في رفع الارتباب عن المؤلف والمختلف في الأسماء والكنى، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1411هـ، ج1، ص15، وج6، ص175، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج3، ص1247-1248.
- 65- ابن سعد، الطبقات، ج2، ص133، وج4 ص282، الزبيري، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفنسال، ط3، دار المعارف، مصر، ص123، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق علي محمد الجاوي، دار الجيل، ط1، 1412هـ، ج5 ص691. --- 66- ابن هشام، السيرة، ج2، ص495. --- 67- ابن سعد، الطبقات، ج4، ص248. --- 68- المصدر السابق، ج7، ص411. --- 69- المصدر السابق، ج6، ص24.
- 70- من ذلك مثلاً شداد بن الحادي ابن حبيب، آخر، ص108.
- 71- ترد عديد الأسماء على غرار الحكم بن عمرو الضمري الذي يوصف بأنه "رجل شريف"، كما تولى لاحقاً خراسان لزياد بن أبيه سنة 46 هـ/ 666 م، ابن سعد، الطبقات، ج7، ص27-28. وأبو عقرب بن خويلد بن بني العريخ، وعمرو بن يثري الضمري، وسارية بن زعيم الديلي وأخوه أنس، ابن هشام، السيرة، ج2، ص424-425. ابن سعد، الطبقات، ج7، ص27-28، ابن عبد البر، الاستيعاب، ج1، ص169-170، وج2، ص695-696، وج4، ص1716-1717.
- 72- يتنمون أساساً إلى غفار على غرار طهفة بن قيس وابنه عبد الله وعبد بن خالد، وإلى ليث مثل طلحة بن عبد الله القضيي وعُبيد الله بن فضالة الليثي ووالته بن الأسقع. أنظر ابن سعد، الطبقات، ج1، ص256، وج7، ص51، وص407، ابن الأثير، أسد الغابة، ج1، ص536، وج3، ص89، وص97، وص150، وص286. --- 73- ابن سعد، الطبقات، ج1، ص255-256. --- 74- الواقدي، المغازي، ج1، ص389، ابن سعد، الطبقات، ج2، ص8، ابن هشام، السيرة، ج1، ص591. --- 75- السهيلي، الروض الأنف، ج3، ص38.
- 76- ابن سعد، الطبقات، ج1، ص274. --- 77- ابن حبيب، كتاب الخبر، تحقيق إليزه ليختن شتير، حيدر آباد الدكن، الهند 1942، ص111، البعقوبي (مراد)، القبيلة ودولة المدينة في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد 37، تونس، 2009، ص201.
- 78- WATT, Mahomet à Médine, éd. Payot, Paris 1959, p106-107.
- 79- الواقدي، المغازي، ج1، ص389. --- 80- ابن سعد، الطبقات، ج2، ص98.
- 81- القرطبي، الجامع، ج16، ص268، البعقوبي، القبيلة ودولة المدينة، 204. --- 82- الواقدي، المغازي، ج2، ص574.
- 83- DJAÏT ( H.), La vie de Muhammad. Le parcours du prophète à Médine et le triomphe de l'Islam, éd. Cérès, Tunis, 2012, p218-219.
- 84- الواقدي، المغازي، ج2، ص497-524، ابن هشام، السيرة، ج2، ص233-279.
- 85- الواقدي، المغازي، ج2، ص634-706، ابن هشام، السيرة، ج2، ص328-338.
- 86- الواقدي، المغازي، ج1، ص2-7، DJAÏT ( H), La vie de Muḥammad, p213-214.
- 87- عاممو (حياة)، أصحاب محمد ودورهم في نشأة الإسلام، دار الجنوب للنشر، تونس، 1996، ص131، op.cit., DJAÏT ( H),

- 88- كان عدد الذين قسّمت عليهم غنائم خير ألف وثمانمائة مقاتل تم تقسيمهم إلى ثمانية عشر مجموعة تحصّلت كلّ واحدة منها على سهم. أنظر: الواقدي، المغازي، ج2، ص690. ابن هشام، السيرة، ج2، ص350. --- 89- الواقدي، المغازي، ج2، ص685. ابن هشام، السيرة، ج2، ص342. --- 90- الواقدي، المغازي، ج2، ص799-800. ابن سعد، الطبقات، ج2، ص135. ابن هشام، السيرة، ج2، ص421.
- 91- الواقدي، المغازي، ج2، ص800، وص817. ابن هشام، السيرة، ج2، ص421. --- 92- الواقدي، المغازي، ج3، ص893.
- 93- المصدر السابق، ج3، ص996 وص1001، وص1070. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، 1420هـ/2000م، ج14، ص417، وص418-419.
- 94- ابن شبة، تاريخ المدينة النبوية، تحقيق فهد محمد شلتوت، دار الفكر، 1410، ج1، ص260-263.
- 95- المصدر السابق، ج1، ص260-263، السمهودي، وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق قاسم السامرائي، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، مكة المكرمة والمدينة المنورة، 1401هـ/2001م، ج3، ص94-98.
- 96- الواقدي، المغازي، ج2، ص783-784 وص787 وص792. الطبري، التاريخ، ج3، ص43-44. ابن هشام، السيرة، ج2، ص389-393. الجوادي، قبيلة خزاعة، ص103. --- 97- الواقدي، المغازي، ج2، ص789. الطبري، التاريخ، ج3، ص45. ابن دريد، الاشتقاق، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، ط3، القاهرة، (د-ت)، ص475. ابن هشام، السيرة، ج2، ص395.

### Abstract:

*This study investigates the history of 'Baker Ibn 'Abd Manāt' tribes up to the end of the Prophet period. To do so, we have considered three complexities which we have divided in three essential parts. The first part identifies these tribes by determining their origins, genealogy and their places of settlement. In the second part, we studied (1) the role of these tribes in the events of pre-Islamic period especially their relationship with Quraysh tribe, (2) their raids against the commercial caravans coming from El Hira, and (3) their contribution in the "Ayyām al-'Arab" (fighting between Arab tribes). In the third part, we studied (1) the most outstanding historical phases of these tribes during the Prophet period by tracing the Islam embracing of their companions, and (2) the relationship of the tribes' branches with the Medina's State.*